

إيران وتركيا

وفي العام ١٩٧٩، لم تتمكن الولايات المتحدة من الذود عن حليفها الإيراني، وتمت الإطاحة بنظام الشاه، وقامت الجمهورية الإسلامية في إيران. وتقدم إيران نفسها على أنها قوة إقليمية صاعدة، وهي الأخرى لا تزال تمثل تحدياً أمام الإرادة الأمريكية منذ أن عكفت على برنامجها النووي. وأخيراً.. هناك الإمبراطورية العثمانية التي تكوّنت من امتدادات جغرافية للإمبراطورية خارج حدود القارة الآسيوية؛ حتى شملت أقاليمها مصر والسودان في إفريقيا. وعندما بدأت الإمبراطورية العثمانية تفقد سيطرتها على الأقاليم المختلفة، فتّ ذلك في عضدها، وانتهى الأمر إلى ظهور الدولة التركية التي -على النقيض من إيران- أعلنت عن سقوط الدولة الدينية في مقابل ظهور الدولة الوطنية العلمانية علي يد كمال أتاتورك.

ويرى كابلان أنّ إيران وتركيا هما الدولتان المسلمتان الوحيدتان اللتان وجدتا لفترات طويلة وتنعمان باحتمال أن تواصل كل واحدة الاستقرار، وأقامتا إمبراطوريتين لا تزال تأثيراتهما الثقافية في الشرق الأوسط. ويمكن لكل منهما ضبط القوة الأخرى. (وسوف تكون جميع الدول العربية على الأرجح تابعة لإحدهما في المستقبل؛ إن لم تنجح في تشكيل كتلة بقيادة إستراتيجية). ويبدو من المحتمل أن الشرق الأوسط الكبير سيتأثر بشكل حاسم بتطور إيران السياسي نفسه، سلباً أو إيجاباً. ولكن جاذبية إيران الشيعية لبعض السكان في لبنان، والبحرين، والعراق، لم تمتد إلى آسيا الوسطى. كما أن إيران الحالية تسيطر في الغالب باستخدام الخوف والترهيب، وكلاهما يحد من نفوذها وينذر بالسقوط.

مصير أمريكا

الباب الثالث والأخير يحمل عنوان "مصير أمريكا" وهو يضم فصلاً واحداً؛ فيعد استعراض دورة الصراعات من منظور جغرافي يعيد للأذهان ما قدمه كل من ألفريد ماهان حول القوة البحرية، وماكيندر حول نظرية قلب العالم، ونيكولاس سبيكمان عن المناطق الداخلية التي تقع بين قلب العالم وهوامش القوة البحرية، يتساءل المؤلف حول مناطق الصراع المستقبلية. يقول كابلان إن أمريكا تواجه ثلاث معضلات جيوسياسية أساسية متمثلة في الفوضى التي تسم الشرق الأوسط، والصين كقوة عظمى صاعدة وطموحة؛ ودولة المكسيك المضطربة في الجنوب. ويضيف أنه بينما يركز الأمريكيون والبريطانيون على العولمة، فإن سحر القومية والقوة العسكرية يتنامى في أوراسيا، وأنه يجب أن يتم التعامل مع التحديات التي تمثلها الصين والمكسيك بكفاءة عالية مخافة التورط في صراع عسكري آخر.

ويتوقع المؤلف أن تدخل أمريكا في نزاع يصفه بأنه "أخلاقي" بصورة أو بأخرى مع الصين، لماذا؟ لأن الصين في تصور كابلان - لا تستطيع أن تطعم سوى نسبة ٢٣ في المئة من سكانها ومن واقع رقعة من الأرض لا تزيد مساحتها المزروعة على ٧ في المئة، وهو ما يدفع الصين بالضرورة إلى أن تلتهم موارد وإمكانات من خارج حدودها، فإذا بها تستمد موارد الطاقة والمعادن والغذاء من نظم وحشية للحكم في أقطار من قبيل بورما أو زيمبابوي أو السودان أو غيرها، وهو ما يزعج بها في ذلك النزاع الأخلاقي مع الولايات المتحدة، التي يؤكد كابلان أنه بات من واجبه التركيز في سياساتها الخارجية، لا على الشرق الأوسط وعلى الصراعات المندلعة في مواقع مثل أفغانستان، أو باكستان أو العراق، كما أن على أمريكا في رأيه أن تتطلع إلى حيث حدودها في الجنوب إلى ما يدور أساساً في ربوع المكسيك التي يصفها بأنها بلد أصبح على حافة الخطر؛ حيث يوشك أن يصبح دولة شبه فاشلة بسبب ما يقع على أرضه من مصادمات بل ومجازر على يد عصابات (كارتلات) تجارة وتهريب المخدرات.

... إن أمريكا الجنوبية هي القارة المنسية، التي يمكن أن تكون هي البقعة التالية للصراع. ربما من الأفضل للولايات

المتحدة الأمريكية أن تهتم بالدول المتاخمة لها، قبل أن تهتم بما هو وراء البحار، وأن تقدم استراتيجية متكاملة للتعاون مع دول الجوار "الجنوب الأمريكي". في هذا الصدد تلاحظ أن ماري سلوتر أن الكتاب يتميز بتوجيه المؤلف اهتمامه الأمريكي من الشمال إلى الجنوب، بمعنى من كندا شمالاً إلى المكسيك جنوباً، وهو يدعو واشنطن إلى اتباع هذا النسق وذلك النهج الطولي خلال السنوات القليلة المقبلة، بدلاً من أن تتحرك أمريكا بالعرض إلى حيث أولت اهتماماتها شرقاً إلى أوروبا وآسيا، ومن ضمنها بالطبع الشرق الأوسط والبحر المتوسط والقارة الأفريقية بشكل عام. لكن سلوتر في نقدها التحليلي لهذا الكتاب لا تلبث أن تؤكد أنه فيما يتصور كابلان أن ثمة منافسة تشهدها الفترة المقبلة بحيث تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى المحيط الهادئ في أقصى الشرق، فإن العالم سيصبح بحاجة من ثم إلى عنصر توازن. والمقصود هو أنه فيما قد تؤدي الجغرافيا، اتساقاً أو انتقاماً إلى كيان من نوعية "أوراسيا العضوية الموحدة"؛ فالأمر يومئذ يقتضي كفة للتوازن تتمثل بدورها في كيان يوصف على النحو التالي: أمريكا الشمالية العضوية والموحدة، بحيث تضم كلاً من كندا والولايات المتحدة وشم المكسيك.

العالم العربي

ويصف المؤلف منطقة الشرق الأوسط بأنها المكان الذي تتقاطع عنده أوروبا وروسيا وآسيا وإفريقيا، وبأنها المنطقة التي يمكن أن تشكل دولة أو مجموعة دول ذات هياكل تحالفية عالية التنظيم، على غرار حلف الناتو أو الاتحاد الأوروبي. ويرى أنها معرضة للخطر أكثر من غيرها؛ نظراً لخلوها من الغابات ووجود مساحات واسعة من الصحارى المفتوحة؛ مما يُسهّل تعرضها للغزو والاضطرابات والثورات.

وعن وضع العالم العربي المعاصر -خاصة بعد انتفاضات الديمقراطية- يرجع كابلان إلى ما كتبه المفكر الفرنسي الشهير فرنان بروديل من أن الحدود الحقيقية لأوروبا ليست هي البحر الأبيض المتوسط، ولكن الحدود الجنوبية الحقيقية هي الصحراء الكبرى، وأن شمال أفريقيا كان ينظر إليها تاريخياً من آلاف السنين أنه يتم دمجها في أوروبا، ولكنها في العقود الأخيرة لم تكن كذلك. ويرى كابلان أنه مع الإطاحة بالأنظمة الاستبدادية في شمال إفريقيا، وبرغم أنها عملية بطيئة وتدرجية، وأحياناً عنيفة، قد تتاح فرصة الدمج مرة أخرى في أوروبا. ويقول على سبيل المثال. بدأ الربيع العربي في تونس البلد الأكثر أوروبية من كافة الدول العربية، فقط ثماني ساعات عن طريق العبارة البطيئة السرعة من صقلية. ... نظرة كابلان للشرق الأوسط تستحق التوقف؛ فهو يرى

أن هناك حالة من التراجع للدولة المهيمنة.. والهرمية في القيادة تتداعى على شتى المستويات. وفي المقابل، تزداد المساواة بروزاً في السياسة الجغرافية. فلم تعد الهيمنة الأمريكية قوية مثل السابق. وفي دول مثل مصر، سوريا، ليبيا، العراق، تونس... وغيرها، لم تعد القوى الداخلية تخضع للنظام المركزي. كذلك لم تعد دول مثل تركيا والمملكة العربية السعودية وباكستان، تدعم الولايات المتحدة بالقدر الذي كانت عليه المساندة في الماضي، وهو ما يزيد من ضعف الهيمنة الأمريكية، فيما بدأ الاتحاد الأوروبي يضعف أيضاً كمبدأ تنظيمي سياسي، ودولة الحزب الواحد في الصين تتعرض لضغوط متزايدة. ويقول كابلان إنه برغم ما سبق، لا يجب الخلط ما بين الفوضى والديمقراطية في الشرق الأوسط؛ فالديمقراطية نظام هرمي غير متساو -على حد تعبيره- مع أنه يحدد من خلال أصوات الناخبين. وما نراه في الشرق الأوسط لا يمكن أن يكون ديمقراطية لأنه لا يحتوي على أي تراتب هرمي جديد واضح بما فيه الكفاية وما نراه بالفعل في دول كثيرة من الشرق الأوسط ما هو إلا تراجع السلطة المركزية مع غياب أي هرمية جديدة تحل محلها. ويطلق كابلان تحذيراً من أنه ما لم تتمكن بعض القوى، (م أن الظروف الحالية غير مواتية)، من إعادة إرساء الهرمية؛ سواء كانت الهيمنة الأمريكية التي تبسط سلطتها عالمياً أو

منظمة دولية تنشط إقليمياً، أو مثلاً الجيش المصري بيسط سلطته داخلياً؛ فعلياً توقع تداعيات سلبية من التقلبات؛ وبالتالي مزيد من الفوضى، بما يثير مزيداً من القلق؛ لأن الحضارة ترفض الفوضى، فالأوضاع تنهار دون النظام ودون الهرمية التي يتحدث عنها.

ويجادل كابلان بأن العالم سيشهد وحدة عضوية في أوراسيا في مواجهة الوحدة العضوية بين الولايات المتحدة ودول أمريكا الشمالية باعتبارها عملية توازن بين الكتلتين.

هذه الجولة الجغرافية للمؤلف في العالم تعتمد على مفهوم ساد في القرن التاسع عشر، ما يعرف بخريطة التمثيل المكاني للمجموعات البشرية، وهو لا يعني مجرد التمثيل للأقاليم المادية، ولكن هناك دور للتضاريس الجغرافية؛ فهو يرى العالم خريطة تحدها القمم الحادة والوديان الضيقة التي تحبس السكان والسهول المفتوحة، والممرات المائية الواسعة التي تسمح لهم بالتحرك أو تمنعهم. وتأكيد المؤلف على المجموعات البشرية يؤدي مباشرة إلى تبنيه منهج الواقعية في السياسة الخارجية؛ حيث يفترض كابلان أن البشرية هي في جوهرها منقسمة وليست متصلة، وتعزز نظريته الجيو-سياسية التي تعتمد على ثلاثية الخوف والمصلحة الذاتية والشرف باعتبارها دوافع الإنسان الأساسية.

... لقد شهد عالمنا تغييرات جغرافية كثيرة عبر تاريخه، وشهد صعود وسقوط نظم ديكتاتورية عديدة؛ مما يؤكد دوماً على هشاشة تلك النظم. ولكن يقول كابلان إن الشيء الوحيد المستقر والباقي هو وضع الشعوب على الخريطة؛ لذا ففي زمن الاضطرابات فإن الشيء الوحيد المهم هو الخرائط؛ فعندما تتحرك الأرض السياسية بعنف من تحت أقدامنا، تظل الخريطة، حتى ولو لم تكن مؤكدة، هي نقطة البداية لتحديد منطقتنا تاريخي حول ما يمكن أن يأتي به المستقبل. قد تكون الجغرافيا هي التي تحدد شخصية شعب ما، وتشكل المجتمع الذي يعيش فيها؛ ولكن الجغرافيا يمكنها أيضاً أن تشكل التاريخ ومصائر الشعوب. بل ويمكن بدراسة الجغرافيا أن نفهم الحروب التي ستقع في المستقبل، وكيف يمكن التصدي لها. هذا ما أراد روبرت كابلان أن يثبتته في كتابه "انتقام الجغرافيا"، والذي قام فيه برحلة عبر التاريخ ليعود إلى الحاضر في محاولة لفهم المستقبل.

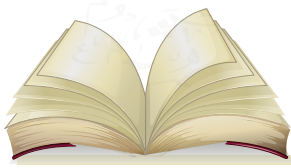
تعريف بالمؤلف

يحمل الكاتب الصحفي الأمريكي روبرت د. كابلان لقب المراسل القومي وكبير المحررين في مجلة "أتلانتك منثلي" الشهرية. نشأ في نيويورك، وبرغم خبرته العسكرية وعلى الرغم من تصنيفه ضمن الفصيل الأكثر محافظة في مضمار السياسة الأمريكية المعاصرة، إلا أنه بشهادة ناقديه استطاع أن يخرج من عباءة المحافظين الجدد، فلم يعد يواصل الدعوة إلى تدخل أمريكا في قضايا الشرق الأوسط، وبحكم مهنته الصحفية فقد عمد إلى القيام بجولات استطلاعية ورحلات بحثية، خصوصاً في ربوع الشرق الأوسط واليونان والبلقان ووسط أوروبا وفي جنوب شرقي آسيا، خاصة في شبه القارة الهندية، وهو ما ينعكس على فصول وطرولات كتبه التي كتبها عبر سنوات مهنته صحافياً وباحثاً وكاتباً وأستاذاً محاضراً في الجامعات الأمريكية. ومن هذه الكتب التي أصدرها منذ التسعينيات: "أشباح البلقان" الصادر عام ١٩٩٣، وقد استعانت به إدارة الرئيس بيل كلينتون في تعاملها مع أزمة البلقان وصراعات ما بعد تفكك دولة يوغوسلافيا السابقة، إضافة إلى كتابه المهم "الاستعربون" الذي قدم فيه عرضاً وتحليلاً لتجربة أمريكا في الشرق الأوسط العربي المسلم من خلال مبعوثيها من سفراء ومرتبين وباحثين ومفكرين. ويعد كتاب كابلان "مونسون" دليلاً مستجداً فيما يتعلق بمسارات ومآلات الأوضاع في شبه القارة الهندية ومنطقة جنوب شرقي آسيا بشكل عام.

.....

العنوان: انتقام الجغرافيا

المؤلف: روبرت كابلان



وممرات مائية صالحة للمالحة، وهي عوامل دعمت مجتمعة التنمية الاقتصادية والتكنولوجية والتطوير الحضري.

الجغرافيا والصراع الدولي

واعتمدت النظريات الكبرى الواقعية والليبرالية، والنظريات الفرعية التي تندرج تحت مظلتها في تفسيراتها، على افتراض مبدئي مفاده محورية الصراع في العلاقات البشرية، وأن ما تقدمه هذه النظريات يعمل في اتجاه السيطرة على العوامل التي تفضي إلى الصراع أو توججه. إن السياسات المكانية ليست بالجديدة في نظريات العلاقات الدولية. فقد كانت الجغرافيا أحد مقدرات قوة الدولة داخلياً وخارجياً، وهو ما جعل إمكانية بسط السيطرة والتوسع المكانيين على أقاليم الدول المتاخمة هي إحدى دلالات قوة الدولة، وإلا لما توسعت الإمبراطوريتان اليونانية والرومانية خارج حدودهما، وربما خارج الإطار القاري لهما، والإمبراطورية العثمانية ليست استثناء عن القاعدة.

وإذا كان توسع الدولة وضماها لأقاليم أخرى إحدى علامات قوتها، فإن فقدانها للأحيزة المكانية الخاضعة لسيطرتها دليل على ضعف هذه الدولة. وليس أدل على ذلك من التفكك التدريجي لدول الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة. ولم تكن الفترة التالية على انتهاء الحرب الباردة سوى مرحلة من الافتراضات الجغرافية والمسلمات المتتالية، تغلفها مسحة أكاديمية شديدة المراوحة في أفضائها.

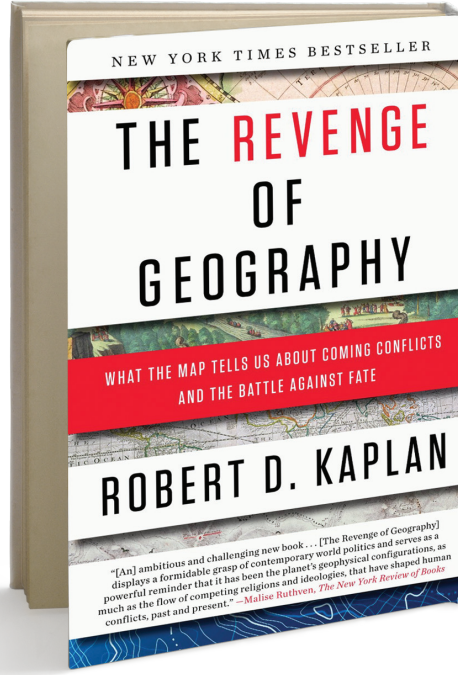
وعلى سبيل المثال: رأي الكثيرون أن التدخل لأغراض إنسانية ما هو إلا ارتداد عن كل ما هو "واقعي" أو "براجماتي" للحد من الصراع الدولي، والحفاظ على استقرار النظام الدولي الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك. وبالمخالفة، كان من دواعي الفخر أن يعلن السياسي عن كونه ليبرالياً دولياً ينادي بتوظيف الأداة العسكرية الأمريكية لوقف الإبادة الجماعية في البلقان أو يوغوسلافيا.

لقد اعتقد الغرب أن إفريقيا -أكثر قارات العالم تحملاً لأعباء الحدود المصطنعة التي وضعها المستعمر الغربي، وأقربها على الإطلاق- سوف تشهد ثورة ديمقراطية في كل بقاعها. لا يزال هناك متسع من الوقت -في رأي كابلان- أمام القارة السمراء لتستوعب مجريات الأحداث الحاصلة في الفترة الزمنية الممتدة منذ سقوط جدار برلين، وحتى أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ودلالاتها.

ما بعد الحرب الباردة

لم يبدأ النظام العالمي لما بعد الحرب الباردة بسقوط الاتحاد السوفييتي، بل يمكن التآريخ له بصحوة "أوروبا الوسطى": ذلك المصطلح الذي صكه الباحث في جامعة أكسفورد تيموثي أش، لتمييز تلك الدول عن الشرق السوفييتي سياسياً وثقافياً. لقد تحول مصطلح "أوروبا الوسطى" من مصطلح جامع لكل الثقافات الفرعية المتعاشية في ظل الاشتراكية إلى مصطلح يفرق ويقسم الشعوب، عقب اندلاع الصراعات الإثنية في يوغوسلافيا. لقد كان أش يرى أن سقوط جدار برلين يجب ألا يقتصر أثره على الدول الأوروبية أو الغربية فحسب، بل يجب أن يمتد ذلك إلى العالم بأسره.

وقد كانت هذه النظرة الكوزموبوليتانية هي أحد مستلزمات انطلاق الليبرالية الدولية، واتجاه المحافظين الجدد، فلا عجب أن يصبح أش ويول وولفويتز من مؤيدي التدخل الأمريكي في البلقان والبوسنة والعراق. وامتداداً لهذا الخط التحليلي، فإنه يمكن القول إن الهيئة الأمريكية للتدخل في البوسنة وكوسوفو لم تكن إلا امتداداً لصحوة أوروبا الوسطى. ولاشك في أن أطروحة هالفورد جون ماكيندر التي تذهب إلى أن لكل منطقة جغرافية قلباً هي الأساس الفكري الذي انطلق منه أش في تفسيره لمحورية صراعات أوروبا الوسطى.



وفي القارة الآسيوية، ظهرت الصين لتكون هي قلب القارة الآسيوية، التي استطاعت أن توفر الغذاء لقاطنيها، من خلال حصولها على موارد الطاقة والمعادن من دول قمعية مثل بورما، وإيران وزيمبابوي؛ لتدخل في صراع أخلاقي مع الولايات المتحدة الأمريكية. وامتدت الصراعات الإثنية لتطول الهند على خطوط عرقية أو دينية. ودخلت الهند في صراعات دامية مع باكستان المتاخمة، لعبت فيها الدولة الأفغانية دوراً من خلال حدودها التي لا سيطرة عليها. ويقول المؤلف إن الصين تتمتع بساحلها وقربها من المياه ولكنها تواجه بيئة أكثر عدائية في البحر، وإن لم تكن الصين مهتمة بنشر أيديولوجية معينة؛ فهي معنية بضمان بقائها ونموها الاقتصادي فقط، وسوف تبرم اتفاقات وتهدد دولاً أخرى بما يتفق مع مصالحها. إن القوة الاقتصادية الصينية -مصحوبة بقوة عسكرية- ستؤدي إلى إيجاد درجة من التوتر المحوري في السنوات المقبلة.

ويضي كابلان في تحليل علاقات الدول المحورية في آسيا بالذات بالحقائق الجغرافية السائدة في تلك الدول. ويحاول أن يستقي دروساً مستفادة؛ منها مثلاً: أن غلبة طبيعة الاستبس أو أرض الحشائش والشجيرات في الرقعة الآسيوية من روسيا بكل قسوة مناخها كانت عاملاً أضفى نزعة الخشونة على سكانها لدرجة أن نجمت بين صفوفهم أجيال من الرجال المطبوعين على القسوة إلى درجة التدمير. المنهج نفسه يطبقه المؤلف على مناطق أخرى من خارطة عالمنا وخاصة في ضوء تطبيقه لعوامل محورية في هذا النسق الجغرافي ويأتي في مقدمتها درجة الحرارة (أو البرودة) وتواتر أنواع الطقس ومساحات الأرض التي ينالها هذا الشعب أو تلك الأمة، وبالذات الحيز القابل للزراعة وإنتاج الغذاء اللازم لاستمرار الحياة، مع ما يتصل بذلك من موارد الطاقة وتوافر الثروة المعدنية.

ويقول المؤلف إن الدول غير الساحلية عموماً أكثر فقراً وأقل أمناً مقارنة بالدول ذات الحدود الطبيعية؛ مما قد يدفعها إلى انتهاج سياسات هجومية وتوسعية من أجل تأمين مناطق عازلة أو حدود مصطنعة. وقد تكون الجغرافيا ساعدت على إيجاد الطغيان والبيروقراطية في بلاد ما بين النهرين، في الماضي والحاضر، لكنها أتاحت ازدهار الحضارة في مصر القديمة. فقد منحت الصحارى مصر حدوداً واضحة المعالم يسهل الدفاع عنها. ومن ناحية أخرى، دفعت التضاريس الجبلية في اليونان القديمة باتجاه إقامة وحدات سياسية صغيرة تربطها لغة مشتركة، ما شجع على إقامة نظام ديمقراطي بدائي قائم على المساواة والتمثيل. ونعمت أوروبا الغربية بأراضٍ خصبة ومناخ معتدل وموائئ طبيعية كثيرة

في جامعة برنستون ومديرة التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الأمريكية خلال الفترة ٢٠٠٩-٢٠١١: إن هذا معناه أن أرض الزيتون والكروم (البحر المتوسط في شماله وشرقه وجنوبه) من شأنها أن تعود لتصبح من جديد جماعة اقتصادية وثقافية قد تستمد قدراتها من وجود احتياطات هائلة من النفط والغاز الطبيعي الكامن تحت سطح شمالي وشرقي البحر الأبيض المتوسط.

ويستعرض كابلان آراء المفكرين في القرنين الـ١٩ والـ٢٠ مثل هالفورد ماكيندر، الذي قال في العام ١٩٠٤ بمحورية الجغرافيا في التاريخ وجادل أن السيطرة على أوراسيا تحدد مصير الإمبراطوريات. أما الإستراتيجيان المعاصران ألفريد ثاير ماهان ونيكولاس سبايكمان فقد فضلا القوة البحرية على القوة البرية، لكنهما لا يزالان يصفان تاريخ العالم من حيث الصدام الأبدي بين إسبارة مقابل أئينا في اليونان القديمة، وبين البندقية عاصمة التجارة القديمة مقابل بروسيا (ألمانيا اليوم). وإن كان سبايكمان ينحاز إلى نظرية هارتلاند ماكيندر بالتركيز على المكنة الأهم لواقع أوراسيا أو أوروبا-آسيا والمحيط الهندي-المحيط الهادئ (Rimlands).

ويخلص كابلان إلى أن معظم ما اقترحه هؤلاء الكتاب يبدو غير صحيح سياسياً بعد أن تجاوزه الزمن، فقد كانت تلك المقولات تصلح لصراعات الماضي. يقدم كابلان تحليله الجيو- سياسي أي الرابط بين علاقة الجغرافيا والسياسة لعدد من مناطق العالم. وهو يرى -على سبيل المثال- أن هناك أمثلة تهزم الحكمة التقليدية في أهمية مناطق على حساب مناطق أخرى. فمناطق البحر الأبيض المتوسط سوف تعود مرة أخرى لتصبح رابطاً بين جنوب أوروبا وشمال أفريقيا كما فعلت في العالم القديم، بدلاً من الاستمرار في أن تكون الخط الفاصل بين القوى الاستعمارية السابقة ومستعمراتها السابقة بفعل وجود احتياطات هائلة من الغاز الطبيعي والنفط تحت شمال وشرق البحر الأبيض المتوسط في قاع البحر.

خارطة مطالع القرن الـ٢١

الباب الثاني يحمل عنوان «أول خارطة لمطالع القرن الواحد والعشرين». في فصل بعنوان «جغرافية الانقسامات الأوروبية»، ويرى كابلان أن حجم السكان والاقتصاديات الهائلة للاتحاد الأوروبي، على الرغم من التوقعات القائمة في كلتا الحالتين، سوف تبقى واحداً من المحاور الرئيسية الكبرى في العالم وإن التحول من بروكسل إلى برلين كمرکز للنقل بالنسبة للسياسة الأوروبية ستكون له آثار عالمية.

وينتقل كابلان من أوروبا إلى الشرق، فيحكم على صعود روسيا تحت قيادة القيصرية الجدد بشكل سلبي، فيقول إن فلاديمير بوتين وديميتري ميدفيديف لا يملكان أي أفكار للنهضة ولا أيديولوجية، وأن الواقع يشير إلى أنهما يملكان عاملاً واحداً في صالحهما هو الجغرافيا فقط. وهذا لا يكفي وأن تلك الجغرافيا نفسها هي مصدر علاقة متوترة بشكل دائم بين روسيا والصين حتى في ظل التزام مشترك للحكومتين الاستبداديتين ببسط السيادة وأمور أخرى تدفع النظامين السياسيين الشموليين للتعاون معاً.

روسيا والصين

أما روسيا -وهي القوة البارزة في العالم- فهي دولة غير آمنة، حيث تخلو من الحدود الطبيعية، وموانئها الرئيسية في بحر الشمال يغلقتها الجليد طوال أشهر عدة من العام. لذلك كانت روسيا دائماً دولة توسعية بهدف تأمين نفسها وحماية مجالها الحيوي. فخوف روسيا من الأعداء جعلها تندفع إلى أوروبا الوسطى والشرقية، واعترضت سبيل فرنسا في القرن التاسع عشر وألمانيا في القرن العشرين، وإلى أفغانستان بحثاً عن منفذ إلى المياه الدافئة في المحيط الهندي وإلى الشرق الأقصى لاعتراض سبيل الصين؛ وقد تعود هذه النزعة التوسعية مرة أخرى.